

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

السياق القرآني و أثره في التفسير

دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الباحث
عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري

الرقم الجامعي
٤٢٧٨٠٠٦٧

إشراف
الدكتور/ خالد بن عبد الله القرشي

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

الملخص

اسم الباحث/ عبد الرحمن عبد الله سرور المطيري

المرحلة: ماجستير التخصص: التفسير وعلوم القرآن

عنوان الرسالة: السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية و تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير.

تتحدث هذه الرسالة عن أصل من أصول التفسير ألا وهو السياق القرآني، وتطبيقه من خلال تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير – رحمه الله – .

فقُسِّمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ثم فهارس فنية.

فالمقدمة ذُكر فيها أهمية الموضوع، و أسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج الباحث، والشكر.

وتم تناول ترجمة الحافظ ابن كثير – رحمه الله –، والتعريف بتفسيره في التمهيد.

وأما الباب الأول: فقد خُصِّصَ للدراسة النظرية، وقُسِّم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: السياق وأهميته.

الفصل الثاني: أنواع السياق القرآني.

الفصل الثالث: قواعد في السياق القرآني.

وأما الباب الثاني: فهو للدراسة التطبيقية لآثار السياق القرآني من خلال تفسير ابن كثير –رحمه الله–، وقُسِّم إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: أثره في القراءات.

الفصل الثاني: أثره في نقد المرويات.

الفصل الثالث: أثره على المعاني.

الفصل الرابع: أثره في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير.

الفصل الخامس: أثره في الترجيح والتضعيف.

وبعد ذلك الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً الفهارس الفنية.

Abstract

Researcher: Abdul Rahman Abdullah Sorour Al Mutairi.
Degree: Master.
Specialization: Explanation & Holy Quran Sciences.
Title: The Quranic Context and its effect in Explanation, Theoritical and Practical Study Through The explanation of Holy Quran By Al Hafiz Bin Kathir(God forgive him).
The study was divided into introduction, preface, two parts, conclusion and technical indexes.
The introduction: in which I mentioned the subject importance, reasons of choice, the plan, and acknowledgement.
The preface: included the biography of Bin Kathir and his explanation.
Part one: is the theoretical study, it was divided into three chapters:
Chapter one: The context and its importance.
Chapter two: The kinds of Qurtanic context.
Chapter three: Rules in Quranic context.
Part two: The Practical study for Quranic Context through The explanation of Holy Quran By Al Hafiz Bin Kathir(God forgive him), it was divided into five chapters:
Chapter one :Its effect on Readings.
Chapter two: Its effect on criticism of recited.
Chapter three: : Its effect on meanings.
Chapter four: Its effect on some sciences related to explanation.
Chapter five: Its effect on preference and rejection.
Conclusion: included the results and recommendations.
Finally: the technical indexes.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وإله المرسلين، وقيوم السماوات والأرضين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين-، بعثه الله بالكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال والشك واليقين، أنزله لنقرأه تدبراً، ونتأمله تبصراً، ونسعد به تذكراً، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه، ونجتني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله سبحانه من أشجاره، ورياحين الحِكَم من بين رياضه وأزهاره، فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول فلا يغلق إذا غُلِّقَت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، والنُزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، لا تفنى عجائبه، ولا تقلع سحائبه، ولا تنقضي آياته، ولا تختلف دلالاته، كلما ازدادت البصائر فيه تأملاً وتفكيراً زادها هداية وتبصيراً، وكلما بَجَّسَتْ معينه فَجَّر لها ينابيع الحكمة تفجيراً، فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها، وحياة القلوب ولذة النفوس، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والمنادي بالمساء والصباح: يا أهل الفلاح حي على الفلاح[1].

---

(١) مقدمة ابن القيم -رحمه الله- لكتابه مدارج السالكين (١/ ٣) بتصرف يسير.

أما بعد:

فإن الله – عز وجل – أنزل كتابه هدى للعالمين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[(١)] ، وهذه الهداية لا تَتَأَتّى لمريدها إلا عند تدبره وطلب تفسيره، ولذلك رَبَطَ الله التنزيل بالتدبر فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[(٢)]، و وَبَّخَ الذين يعرضون صفحاً عن التدبر فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[(٣)]، "فأصل الوقوف على معاني القرآن هو التدبُّر والتفكُّر"[(٤)]، ولا شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبّر القرآن، وحقيقة التدبر هي إمعان النظر والتفكر في سياق الآية أو الآيات والربط بينها للوصول إلى معرفة المراد منها، وبالتالي ينتج العمل بها.

فدراسة السياق القرآني في حقيقته إعمال لأمر التدبر للقرآن، ولقد سلك العلماء طرقاً في تفسير كلام الله – عز وجل–، أحسنها: تفسير القرآن بالقرآن نفسه، ولتفسير القرآن بالقرآن مرتبتان[(٥)] أعلاهما: أن يكون في محل واحد؛ كأن يكون عقبه، وهذه المرتبة يدخل تحتها نوعين من أنواع السياق: سياق الآية وسياق المقطع.

ثانيهما: أن يكون منفصلا عنه سواء في نفس السورة أو غيرها، ويدخل تحته نوعين أيضاً من أنواع السياق القرآني: سياق السورة وسياق القرآن.

----

(١) سورة البقرة: ٢

(٢) سورة ص: ٢٩.

(٣) سورة محمد: ٢٤.

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي –رحمه الله– (٢/ ١٨٠).

(٥) انظر المرجع السابق (٢/ ١٨٦).

وبذلك نخلُص إلى القول بأن السياق القرآني أصل من أصول التفسير المعتبرة، بل من آصلها.

ولقد كان من فضل الله عليَّ أن وفقني لدراسة هذا الأصل العظيم من أصول التفسير، وتطبيقه على تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين ابن كثير -رحمه الله- كاملاً، وهو ما تمثله هذه الرسالة، فلله الحمد أولاً وآخراً على فضله وتوفيقه.

وتكمُن أهمية الموضوع بـ:

١) شرف هذا العلم، إذ شرفه بشرف المعلوم وهو كتاب الله -عز وجل-.

٢) أهمية دلالة السياق القرآني وتنوع آثارها. وهذا ما سيتبين في مبحث أهمية دلالة السياق القرآني من الفصل الأول من الدراسة النظرية[١].

٣) كون هذه الدراسة تطبيقية بجانب التنظير لها.

٤) كون تطبيق هذه الدراسة على تفسير ابن كثير -رحمه الله- الذي يعتبر من أجل التفاسير، فقد سار فيه مؤلفه على أصول التفسير: ففسره بالقرآن أولاً و أكثر منه، ثم بالسنه، ثم بأقوال الصحابه والتابعيين، ثم باللغة العربية...وسيأتي مزيد تفصيل في التمهيد عند الحديث عن تفسير ابن كثير -رحمه الله-[٢].

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع:

١) أهميته.

٢) خدمة كتاب الله -عز وجل- في إبراز منهج صحيح لفهمه وتدبره.

٣) أن دراسة الموضوع المعين من خلال تطبيقات العلماء، تجمع أصول الموضوع وتبرزها.

---

(١) في ص٧٥ من هذه الرسالة.

(٢) في ص٤٨ من هذه الرسالة.

٤) كون الدراسة التطبيقية –لا سيما على تفسير القرآن الكريم كاملا، ومن مفسرٍ كبيرٍ كابن كثير – مما يصقل الباحث علمياً، ويُكوِّن له ملكة تفسيرية.

الدراسات السابقة:

١) دلالة السياق القرآني وآثرها في التفسير – دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، للباحث عبد الحكيم بن عبد الله القاسم.

٢) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي – دراسة موضوعية تحليلية، وهي رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأردنية، للباحث أحمد لافي فلاح المطيري[1].

٣) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة – دراسة نظرية تطبيقية، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، للباحث سعيد بن محمد الشهراني.

٤) أثر السياق القرآن في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، للباحث محمد بن عبد الله الربيعة.

٥) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى – عليه السلام – ، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، للباحث فهد بن شتوي الشتوي.

----

(١) وقد نوقشت هذه الرسالة أثناء كتابتي لهذا البحث.

٦) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة اليرموك بالأردن، للباحث المثنى عبدالفتاح محمود[1] .

فالرسالة الأولى تطبيقها على تفسير ابن جرير – رحمه الله- ،والثانية على تفسير الشنقيطي – رحمه الله – ، والثالثة على تفاسير أصحاب المدرسة العقلية الحديثة، والرابعة على سورتي الفاتحة والبقرة من الباحث نفسه، والخامسة أثرها في المتشابه اللفظي في قصة موسى – عليه السلام-، والسادسة أثرها في الترجيح.

وجاءت رسالتي إكمالاً لهذه المسيرة المباركة في خدمة هذا الأصل العظيم:دلالة السياق القرآني[2]، ولكن بتطبيق مغاير، وهو التطبيق من خلال تفسير ابن كثير – رحمه الله –.

وعنوان هذه الرسالة: " السياق القرآني وأثره في التفسير- دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير".

وكانت خطة البحث على النحو الآتي:

مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ثم فهارس فنية.

هذه المقدمة.

وأما التمهيد فيحتوي على:

١- ترجمة موجزة للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير –رحمه الله-.

٢- التعريف بتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير –رحمه الله-.

الباب الأول: السياق القرآني.

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) وقد طبعت باسم نظرية السياق قبل تسليم رسالتي للمناقشة بمدة يسيرة جدًّا.

(٢) وقد استفدت من الدراسات السابقة: لا سيما رسائل الباحثين: عبدالحكيم القاسم، ومحمد الربيعة والمثنى عبد الفتاح. فجزا الله الجميع خير الجزاء.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: السياق القرآني وأهميته.

المبحث الأول: تعريف السياق القرآني.

المطلب الأول: تعريف السياق لغة.

المطلب الثاني: تعريف السياق اصطلاحاً.

المبحث الثاني: أهمية السياق القرآني.

المطلب الأول: دلالة السياق القرآني تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: إعمال النبي –صلى الله عليه وسلم– لدلالة السياق القرآني واعتباره لها في التفسير.

المطلب الثالث: اعمال الصحابة –رضي الله عنهم– لدلالة السياق القرآني واعتبارهم لها في التفسير.

المطلب الرابع: كلام العلماء في اعتبار دلالة السياق القرآني وأهميتها.

المطلب الخامس: آثار دلالة السياق القرآني في التفسير.

الفصل الثاني: أنواع السياق القرآني.

المبحث الأول: سياق الآية.

المبحث الثاني: سياق السورة.

المبحث الثالث: سياق المقطع.

المبحث الرابع: السياق العام للقرآن الكريم.

المطلب الأول: الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: المعاني الكلية للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: الأساليب المُطَّرِدة في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: قواعد في السياق القرآني.

المبحث الأول: كل تفسير أهملت فيه دلالات الألفاظ، أو يأباه السياق فهو باطل.

المبحث الثاني: الأَوْلى حمل كلام الله -عز وجل- على الغالب من عرفه ومعهود استعماله.

المبحث الثالث: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل.

المبحث الرابع: الأصل حمل اللفظ على تأسيس معنى جديد، إلا أن يدل السياق على التأكيد.

المبحث الخامس: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المبحث السادس: الأصل بقاء ترتيب النظم، إلا إذا دَلَّ السياق على التقديم والتأخير.

المبحث السابع: الأصل اتحاد مرجع الضمائر في السياق الواحد.

المبحث الثامن: الأصل عود الضمير لأقرب مذكور، إلا لدليل على خلاف ذلك.

المبحث التاسع: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا لدليل من سياق أو غيره.

المبحث العاشر: الأصل في التقدير أن يكون موافقاً للسياق القرآني.

المبحث الحادي عشر: يجب حمل كلام الله -عز وجل- على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق القرآني.

الباب الثاني: أثر السياق القرآني في التفسير من خلال تفسير ابن كثير -رحمه الله-.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: أثر السياق القرآني في القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في ترجيح بعض القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض القراءات في تفسير ابن كثير.

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في توجيه القراءات في تفسير ابن كثير.

الفصل الثاني: أثر السياق القرآني في نقد المرويات في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في نقد الروايات المرفوعة في تفسير ابن كثير.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في نقد الإسرائيليات في تفسير ابن كثير.

الفصل الثالث: أثر السياق القرآني على المعاني في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في بيان المعنى في تفسير ابن كثير.

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآية الواحدة.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المعنى للآيات المتتابعة.

المطلب الثالث: أثر السياق القرآني في بيان المتكلم والمخاطب والموصوف في الآيات.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المراد من المشترك اللفظي في تفسير ابن كثير.

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في تضمين المعاني في تفسير ابن كثير.

المبحث الرابع: أثر السياق القرآني في تحديد المعنى المراد من حروف المعاني في تفسير ابن كثير.

المبحث الخامس: أثر السياق القرآني في تحديد مرجع الضمير في تفسير ابن كثير.

المبحث السادس: أثر السياق القرآني في بيان الحذف وتقديره في تفسير ابن كثير.

المبحث السابع: أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير في تفسير ابن كثير.

المطلب الأول: أثر السياق القرآني في القول بالتقديم والتأخير.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في رَدِّ القول بالتقديم والتأخير.

الفصل الرابع: أثر السياق القرآني في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير في تفسير ابن كثير.

المبحث الأول: أثر السياق القرآني في الترجيح بين الأقوال في تفسير ابن كثير.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في تضعيف بعض الأقوال في تفسير ابن كثير.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد ذيّلت البحث بفهارس للآيات، والأحاديث، والآثار، والأعلام، والمراجع، والموضوعات.

وأما منهجي في البحث:

- عزو الآيات بأرقامها إلى سورها.
- توثيق القراءات، وعزوها لمصادرها.
- تخريج الأحاديث النبوية، ونقل أحكام المحدثين على غير ما في الصحيحين، أما إن كان في الصحيحين فأكتفي بالعزو إليهما فقط.
- توثيق النقولات الواردة في الرسالة، وإن كانت من تفسير ابن كثير –رحمه الله– فقد اعتمدت طبعة دار طيبة بتحقيق الشيخ سامي بن محمد السلامة –الإصدار الثاني، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ–.
- في الباب التطبيقي أكتفي بذكر ثلاثة أمثلة من تطبيقات الإمام ابن كثير –رحمه الله– ثم أحيل للباقي، إلا إذا لم أجد إلا أقل من ثلاثة فأذكر ما وجدته، ولم ألتزم بحصر تطبيقات الإمام ابن كثير –رحمه الله– إلا ماصرح فيه باستخدام دلالة السياق القرآني.
- التعريف بالأعلام في أول موطن لِورودهم، عدا الصحابة وأصحاب المذاهب الأربعة المتبوعة والكتب الستة لشهرتهم، وإن كان ورودهم أثناء الأسانيد فقد اعتمدت تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر –رحمه الله– في الترجمة لهم.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل –بعد حمد الله وشكره– لمن قرن الله حقهما بحقه: والديّ الكريمين، وأبواي الحليمين، اللذيْن لم يألوا جهداً في التوجيه والدعاء والتشجيع ودوام السؤال، فلا أَمْلِكُ إلا أن أقول: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(١).

كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن عبد الله القرشي –وفقه الله–، المشرف على الرسالة، على ما قام به من جهد ومتابعة وتقويم وتوجيه وإفادة، وقد بذل لي وقته مع كثرة أعماله، فكان له أثرٌ بارزٌ في خروج الرسالة بهذا الشكل، فجزاه الله خير الجزاء.

وكذا الشيخين الجليلين عضوي لجنة المناقشة: الدكتور خالد بن علي الغامدي –وفقه الله– وكيل كلية الدعوة وأصول الدين، إمام المسجد الحرام، والدكتور عبد الرحمن بن جميل قصّاص –وفقه الله– على تفضلهما بقبول مناقشة الرسالة، وإبداء ملاحظاتهما القيمة مما كان له أثر بارز في تقويمها، واستحضرت ما قاله الشيخ إبراهيم الصولي –رحمه الله–: "المتصفِّح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من منشئه"(٢)، فجزاهما الله خير الجزاء.

وأشكر كل من ساعدني وساندني في كتابة هذه الرسالة، وأخصُّ بالذكر منهم زوجتي على ما قامت به من طباعة جزء كبير من الرسالة، ومراجعتها ومقابلتها معي، وكذا الشكر موصول للدكتور محمد الربيعة الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم على ما قام به من إعارتي لمجموعة من الرسائل العلمية حول هذا الموضوع، ومن بينها رسالته للدكتوراه.

فجزا الله الجميع خير الجزاء.

---

(١) سورة الإسراء: جزء من الآية ٢٤.

(٢) ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ص ٣٣٦.

وأشكر القائمين على جامعة أم القرى وكلية الدعوة وأصول الدين فيها على إتاحتهم لي فرصة الالتحاق بهذه الجامعة العريقة التي نهلت من علم أساتذتها –جزاهم الله خير الجزاء–، وأخص بالذكر منهم فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن علي الغامدي –وفقه الله– وكيل كلية الدعوة وأصول الدين على جهوده المباركة معي بدءاً من مرحلة قبولي حتى تخرجي، فلم يألوا جهداً في مساعدتي وتذليل الصعاب التي تواجهني، وبوجوده ما أحسست بالغربة في هذه البلاد.

كما لايفوتني أن أشكر كلية التربية الأساسية بالكويت مُمَثَّلَةً بقسم الدراسات الإسلامية على تعيينه لي معيداً بالقسم، والموافقة على ابتعاثي لهذه الجامعة العريقة.

وأخيراً هذا جهد المقل، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله من كل زلل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عبدالرحمن عبد الله سرور المطيري

فهرس المحتويات